المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلّد **12**، العدد **1**، 2019

الفكر السياسي عند كونفوشيوس

***زيد خالد الزريقات* ***

ملخّص

تناولت هذه الدراسة الفكر السياسي عند كونفوشيوس وهدفت إلى تسليط الضوء على أهمية الفكر السياسي عند كونفوشيوس وخصائصه وتميزه، وخلصت إلى أن كونفوشيوس يرى بأن أزمات الأمة مردها إلى السلطة الحاكمة، وأنه لإقامة نظام حكم عادل ومستقر فإن السبيل الوحيد لذلك هو التمسك بالشعائر والآداب والتقاليد والأخلاق الفاضلة، وأن المعرفة الحقة المبنية على الأمانة والدقة والوضوح هي أساس إصلاح المجتمع السياسي وهي الطريق المؤدي إلى الأخلاق الفاضلة وبناء عليه فإن السياسة عند كونفوشيوس مبينة على الأخلاق.

الكلمات الدالة: فكر سياسي، كونفوشيوس، أخلاق سياسية.

المقدمة

حلم الإنسان أن يعيش حياته السياسية والاجتماعية متمتعاً بالحرية ومتنعماً بالعدالة وهو حلم الفلاسفة في أي مجمع سياسي. أن تحقيق الحرية والعدالة في المجتمع هو ما يميز المجتمع الإنساني المدني مجتمعاً يشعر أفراده بكافة الحريات ويمارسونها في ظل احترام القانون الذي يراعي الحقوق الأساسية للإنسان ويضمن الاستقرار والازدهار للمجتمعات البشرية.

ففي شمال المتوسط قال أرسطو: إن الإنسان حيوان سياسي، وأن كل دولة هي بالبديهة اجتماع وكل اجتماع لا يتألف إلا لخير ما دام الناس أيا كانوا لا يعملون ابداً شيئاً إلا وهم يقصدون إلى ما يظهر لهم أنه خير". (النشار، ص170) وعلى الضفة الجنوبية من المتوسط، وبعد اثني عشر قرناً قال: ابن خلدون: "أن الإنسان مدني بالطبع"، (مقدمة ابن خلدون، ص41) والمقولتان وجهان لمسألة واحدة ملخصها أن الإنسان يحتاج العيش في جماعة والجماعة لا تستغني عن قوانين أو أعراف أو تقاليد تحكمها، وحيث أن الإنسان عاش دائماً في شكل تنظيم سياسي ما، إن كان في شكل دولة أو شكل أدنى من الدولة، انطلقت تساؤلات الإنسان السياسية مثل من هو المؤهل للحكم، لماذا يطيع الناس الحاكم أو القانون وما هي أفضل وسائل السلطة، ما هي أفضل السبل لإدارة شؤون الناس وغيرها، كل هذه التساؤلات تدور حول سبل الحياة الأفضل، لأنه يبقى التنظيم السياسي هو الذي يحقق أو يسمح بتحقيق أفكار البشر وتبقى السلطة تؤثر تأثيراً كبيراً وعميقاً في حياة البشر. (Benn and Peters, p.13)

الفلسفة السياسية تحاول الإجابة عن تساؤل مهم، هو كيف يمكن للقوة أن تتوافق مع العقل أو الحكمة في المجتمع الإنساني، من هنا فإن الفلسفة السياسية هي ذلك الفرع من الفلسفة الذي يعنى بدراسة كيفية تحقق أكبر قدر من العدالة والحكمة في المجتمعات السياسية. (النشار، ص15)

الفكر السياسي قديم قدم المجتمعات البشرية أو نقول مع أول حضارة من الحضارات الإنسانية على وجه الأرض. كونفوشيوس صاغ فلسفة سياسية تحلم بدولة تتحقق فيها العدالة والسعادة للإنسان الفرد والمجتمع. الواقع الحياتي المعاش يصبغ كل فلسفة بطابع تلك البيئة أي أن الفيلسوف هو ابن عصره يتأثر بظروفه وبعوامل بيئته الشخصية والوطنية وبدرجة التطور الذي شهده ذلك العصر.(Lancaster, p.13-14) وفيما يلي سنلقي الضوء على الخليفة التاريخية والبيئة الاجتماعية والسياسية التي عايشها الفيلسوف كونفوشيوس.

* قسم الفلسفة، الجامعة الأردنية.

تاريخ استلام البحث 2018/6/10 وتاريخ قبوله 2018/11/7.

© 2019 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من منطلق أهمية الفلسفة السياسية والاجتماعية في حياة الإنسان وخاصة في عالم عربي يتوق إلى الحرية والعدالة بحيث بات من الضرورة المعرفية والعلمية والعملية الاطلاع على روائع الفكر الصيني لنرى كيف أثّر هذا الفكر الفلسفي السياسي وكيف طبع هذا الفكر الحضارة الصينية وأثر في إبداعاتها وتطورها، وكذلك من منطلق أنه في مقدورنا إدخال تغييرات أساسية على المبادئ الاجتماعية والأخلاقية والسياسية في عالمنا العربي بهدف بناء شخصية عربية حديثة في ضوء التفاعل والتلاقح مع الحضارات الأخرى.

مما لا شك فيه أن الفكر السياسي والاجتماعي للصين لم يعرف بشكل جدي من قبل المفكرين والفلاسفة خارج الصين إلا حديثاً، فالفكر الأوروبي في القرن الثامن عشر أخذ يبدي إعجابه بالفكر الصيني، وهو ما تجلى واضحاً من خلال كتابات بعض المفكرين أمثال ليبنتز، وفولتير، وغوتيه، وهيجل في القرن التاسع عشر (عبد الحي، ص5) أن مسألة التعرف على الفكر السياسي لكونفوشيوس لها من الأهمية اليوم على مستوى الفكر الفلسفي والسياسي في عالمنا العربي، لما يحتويه من إبداعات مهمة، تُؤشر كيف أبدع هذا الفكر الحلول للمشاكل التي تعترض الإنسان الصيني، حيث لم يكن تأثير كونفوشيوس قاصراً على الصين، بل كان لأفكاره ونظرياته أعظم الأثر في حضارة شرق آسيا، لذلك يعتبر من أعظم مفكري العالم القديم. (فاضل، ص151)

احتلت الظاهرة السياسية المكان الأبرز في الفكر الصيني، نتيجة لانشغال الفكر الصيني بما هو عملي، دون التعلق في الميتافيزيقيا والتأمل، مما أنتج فكراً سياسياً تميزت به الحضارة الصينية. منذ القرن الخامس قبل الميلاد تكونت المدارس الفكرية السياسية والاجتماعية الكبيرة في الصين التي طبعت الحياة السياسية الاجتماعية إلى اليوم، وأننا هنا نلقي الضوء على أعظم فكر في تاريخ الصين إلا وهو الفكر السياسي للكونفوشيوس.

مشكلة البحث:

لقد حاولنا في هذا البحث التركيز على الفكر السياسي عند كونفوشيوس من خلال بيان خواص هذا الفكر وطبيعته الفلسفية الذي أثرى المعرفة والفكر الصيني وحديثاً العالمي وكذلك نلقي الضوء على البيئة التي نشأ وتطور هذا الفكر فيها.

حدود البحث: فبعد تحديد أهمية البحث ومشكلة البحث، جاء هذا البحث عرضاً للأفكار السياسية عند كونفوشيوس ويقف عند محورين مهمين:

المحور الأول: الخلفية التاريخية والفكرية والبيئة السياسية للفكر الكونفوشيوسي.

المحور الثاني: الإطار التحليلي للفكر الاجتماعي والسياسي لكونفوشيوس.

ثم الخاتمة التي تحمل جملة الاستنتاجات التي استخلصها الباحث بعد تأمل وتدبر في محاور البحث من أجل تحقيق الغاية التي ينشدها الفكر السياسي ألا وهي تحقيق العدالة وتحقيق التطور والتقدم الاجتماعي.

الخلفية التاريخية:

أطلق على الصين عدة أسماء منها "شنج –كيو"chung-kuo أي مملكة الوسط، وتحت السماء "تيان هو"، و بين البحور الأربعة "زهاي" (ديورانت، ص12) وكشفت الدراسات الحديثة عن أن للصين فلسفة عميقة يرجع تاريخها إلى عشرين قرناً قبل المسيح، وأنها استطاعت أن تحفظ الكيان الخلقي الكامل لهذه البلاد مدى أربعة آلاف سنة، لقد أكدت الفلسفة الصينية على أهمية المحافظة على الحياة الإنسانية ورعايتها وارتبطت أوثق ارتباط بالسياسة والأخلاق، ولم يكن الهدف الرئيسي للفلسفة الصينية في المقام الأول هو فهم العالم وإنما جعل الناس عظماء. (جعفر، ص17)

بيد أننا لا نستطيع أن نفهم الفلسفة السياسية لكنفوشيوس إلا إذا رجعنا إلى الظروف والمراحل التي مرت بها الصين في تلك الحقبة التي عاصرها الفيلسوف حتى تتكشف لنا الرؤية التاريخية وهي الفترة المسماة الربيع والخريف من عام 722–481ق.م هذه الفترة كانت عصيبة في تاريخ الصين وتسمى عصر حكم الدويلات، فقد سادت حروب داخلية بين الدويلات المختلفة التي تحكم الصين آنذاك ونشأ الحكم المطلق، وتغيرت تركيبة المجتمع الصيني القائم على الارستقراطية، ولم يعد الحكم يقيم وزناً للعادات والتقاليد السائدة وتزعزعت العلاقات الاجتماعية وسيطرت طبقة من الإداريين ومن العسكريين على مقاليد الحكم وتقوض أركان الحكم القديم القائم على سيطرة الطبقة النبيلة مما

أدى إلى إنهاء نظام الإقطاع و النظام الارستقراطي وقيام حكم مطلق. وفي ظل تلك المرحلة ما بين القرن الثامن – السادس قبل الميلاد لمع العديد من المفكرين في الصين أمثال كونفوشيوس، ولاوتسي ومينشيوس وهسون تزو وغيرهم الذين كونوا مئة مدرسة فلسفية مركزين على النواحي العملية للإنسان والمجتمع، وعليه فإن تفكك النظام السياسي في الصين هو ما يفسر إلى حد كبير فكر كونفوشيوس. (كولر، الفلسفات الأسيوية ص389).

لا تشغل الفلسفة الصينية نفسها بالواقع الأقصى، أي ما هو قائم خارجاً، بل تطرح المسائل القصوى، فهي تحاول طرح المسائل الأساسية أعظمها شأناً دون أن تشغل نفسها بالواقع الأقصى، الذي يبعث عن عدم الرضى والشعور بالتحدي، هو كيفية فعل الناس في العالم، لذا انصب اهتمام الفلاسفة الصينيون على ايجاد التوازن بين علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالطبيعة، وتمجيد فضيلة التوازن والتناغم الداخلي للإنسان في مقابل تناسق الكون.

لا بد من تسليط الضوء على مفهومين أساسيين في الفكر الصيني وهما "التاو" السبيل و"تيان" السماء. وكذلك "اليانج" الموجب و "الين" السالب، إذا نظرنا إلى المبادئ والقواعد الاجتماعية فإن لها الدور البارز في تناسق حياة المجمع الصيني الذي يقدس الوحدة وهو المبدأ الأساسي الذي انطلق منه مفهوم "التاو" الذي يمثل أساس النظام الكوني والاجتماعي والسياسي ويرتبط بمفهوم السماء "تيان" المحدثة لقوة الفضيلة،"التاو" أي الطريق أو المنهج، أو التناسق والتناغم الذي يتبعه الوجود في كل حركاته. تناغم أبدي بالكون والطبيعة والمجتمع، أي أن للوجود طريقته الخاصة في تحقيق الانسجام بين جمع ظواهره."التاو" هو وراء وحدة الكون القائم على أساس خمس قوى يرجع إلها كل الوجود وهي الخشب والنار والمعدن والماء والتراب، ومن هذه العناصر يتكون كل الأشياء في الوجود، "التاو" لا يقبل التحديد بل الإتباع، وأينما توجد الحرية الطبيعية يوجد "التاو" أو السبيل، أنه منزه عن الاسم والصورة أنه دليل العمل في تيار العالم الدائب التقلب أي أن "التاو" يكتشف داخل العالم السيال المتغير الذي نحن فيه. (ان شنغ ص، 35،36).

إذاً "التاو" بالنسبة لكونفوشيوس هو الطريق الذي سلكه الأباطرة الأسطوريون الذين اتبعوا طريق الأخلاق الصحيحة، طريق "الجين" الإنسانية طريق طيبة القلب الإنساني وحب الآخرين."التاو" هنا هو أساس النظام الكوني الطبيعي والاجتماعي والسياسي.(Analects. P. 216)

مفهوم السماء: السماء "تيان"هنا قوى بعيدة غير مشخصه، يقول كونفوشيوس أن السماء هي المحدثة لقوة الفضيلة "Te" طريق الأخلاق المثلى ويقول أن السماء جعلته جرساً كالذين ينادون على الناس إلى الاستماع لرسالتهم. هذه السماء، تهب كونفوشيوس القوة على أن يكون هو ما يريد وعلى فعل ما يريد. ولكن هذه السماء كما يبدو تتدخل في شؤون البشر وقد ألقت على عاتق كنفوشيوس تبليغ تعاليم العمل الصحيح. ويقول "أن السماء هي التي تعرفه،وعن البشر يقول لا احد يعرفني، السماء عينتني لتعليم هذه العقيدة، وأن الذي يهين السماء لا يكون له أحد يبجله أو يدعمه"(Analects, pp.131,89)

هنا تبدو لنا السماء، في نظر كنفوشيوس قوة مشخصة تتفاعل معه ولكنها ليست بمفهوم الله المفارق، الذي يستغنى عما دونه من مستويات.السماء هنا وجه من وجوه العالم الذي نسكنه، قوة مشخصة قائمة داخل هذا العالم تدفع إلى العمل الأخلاقي، قال كونفوشيوس: "أن الذي لا يفهم إرادة السماء، لا يمكن اعتباره رجلاً فاضلاً". (Analects, p.221)

من هنا يمكن القول إنه يوجد ترابط بين البشر والسماء، وحدة السماء والبشر هي سمة الفكر الصيني الإنسانية والكونية، السماء هي الأساس الطبيعي لطبيعة البشر، لكن لها شأناً أخلاقياً بسبب اشتمالها على البشر الذين لهم استطاعة أخلاقية قصدية، تكشف مدونات الكهانة عن الاعتقاد بوجود إله أرفع كلي القدرة تخضع الطبيعة والإنسان لمشيئته ويسمى دي او شانغ دي"Shangdi". (شنغ ص57).

يقوم التفكير الصيني منذ القدم على النظر إلى الحياة والإنسان والوجود بأكمله على أنه نتاج حركة قوتين ساريتين في كل مظاهر الوجود هما ال"اليانج" و ال" الين" الموجب والسالب، المذكر والمؤنث، وهاتان القوتان متعاونتان لا متعارضتان، لا قيام لاحدهما دون الاخر، فإذا غلب "اليانج" في دورانه على "الين" نجم عن ذلك كل ما له صفة الموجب، فإذا غلب "الين" نجم عن ذلك كل ما له صفة السالب، وهكذا تقف الأقطاب في مقابل: الخير والشر، النور والظلام، الحياة والموت، السماء

والأرض، ويتخذ كل ضد معناه من ضده، حيث لا نور بلا ظلام، ولا خير بلا شر، ولا حياة بلا موت، حيث أن الوجود بكل مظاهره في حالة تناوب تلقائي، وهكذا إلى ما لا نهاية في دورات دائبة، والحكيم هو الذي يدرك صيرورة وجوده ووجود العالم، وصيرورة الأحداث الجارية فيه، ويرى كل مظهر "لليانج" بذرة "ين" تنمو في أعماقه والعكس صحيح. (جعفر، ص19)

الفكر السياسى للفيلسوف كونفوشيوس Confucius

كونفوشيوس هى الصيغة اللاتينية للقبه KongFuzi، اسمه الأصلي كنغ جنغني Keong Zhongni،عاش حتى الثانية والسبعين من العمر بين عام 551–479ق.م، أصله من مقاطعة "لو" مهد الثقافة الطقوسية القديمة ويرتبط بالقرابة مع البيت الملكي "الزهو"، ومع أنه سليل أسرة أرستقراطية إلا أنه امضي فترة شبابه في ظروف متواضعة. انخرط كونفوشيوس في مرحلة مبكره من حياته في المعترك السياسي وتولى عدداً من المسؤوليات السياسية إلى أن تسلم وزارة العدل.

يقول آن شنغ عن الخلاف حول المؤلفات المنسوبة لكونفوشيوس وشخصيته، هل هي اسطورية أم واقعية: "إن الشهادة الأكثر حياة التي وصلت إلينا عن شخصية كونفوشيوس وتعاليمه، وهو مصدر ثابت تستلهمه وتستوحيه الثقافة الصينية، هو كتاب محاورات، تم جمعه انطلاقاً من ملاحظات دونها تلامذته واتباع تلامذته، وصلتنا بعض أحاديث وتعاليم المعلم". (شنغ ص69).

تعبيراً عن عدم رضاه عن الحكم السيء غادر "لو" مسقط رأسه في رحلة استمرت اثنتي عشرة سنة، جاب خلالها مختلف المقاطعات يعرض خدماته ونصائحه على حكام تلك المقاطعات باسم تفويض اعتقد أنه تلقاه مباشرة من السماء، إلا أنه أدرك في الخمسين من عمره أن السياسة لا يمكن أن تكون سوى مصدر للتلوث مع حكام فاسدين فقدوا معنى التفويض السماوي. فتابع بحثه عن الصراط حيث اشتهر كونفوشيوس لدى معاصريه بأنه الذي يسعى لإنقاذ العالم.

لذا كان دخول كونفوشيوس إلى عالم السياسة والمناصب مدفوعاً بحبه للواجب، لم تكن السلطة ولا الشهرة، هو ما يطمع به، إنما حرصه على الصالح العام، وهنا يشابه أفلاطون بأنه يجب أن يزاول السياسة الحكماء حتى لا تترك دفة الحكم لأيدي الجهلة الظالمين، فيلحقوا الدمار والخراب بالمواطنين، وكان لرجل نزيه مثل كنفوشيوس أن يصطدم بقوى الشر وهذا قدر المفكرين العظماء.

في عامه الستين عاد كونفوشيوس إلى مسقط رأسه مقاطعة "لو" حيث أمضى سني حياته الأخيرة بتعليم تلاميذه وتفرغ كذلك للكتابة وإلى تنقيح النصوص القديمة، كما وقام بتفسيرها ضمن رؤيته الأخلاقية والاجتماعية والسياسية.(Chai, p.29-30)

عن رحلة حياته قال كونفوشيوس: في الخامسة عشرة قررت التعلم، وفي الثلاثين كنت واقفاً على الصراط، وفي الأربعين زالت عني شكوكي، في الخمسين عرفت قرار السماء، في الستين صار لي أذن متناغمة تماماً لتلك الحقيقة، في السبعين كنت أتصرف وفقاً لرغبات قلبي، ومع ذلك لم أكن أخالف أية قاعدة من طريق العدل والصواب. (شنع ص71) و (Analects, p.80)

سبق الإشارة إلى أن العصر الذي عاش فيه كونفوشيوس اتسم بالتفكك السياسي والاجتماعي والتردي واسع النطاق للأخلاق، لقد أقر كونفوشيوس بناء على ذلك الواقع المعاش في الصين التي لخصنا معالمها أن مشكلات الشعب تنبع من السلطة الحاكمة، التي تمارس بغير مبدأ أخلاقي، ولمجرد مصلحة الحكام، ورفاهيته فحسب، يقول كونفوشيوس "أن العالم في حرب لأن الدول التي يتألف منها فاسدة الحكم، والسبب في فساد حكمها أن الشرائع الوضعية مهما كثرت لا تستطيع أن تحل محل النظام الاجتماعي الذي تهيئه الأسرة"، فإذا اختل نظام الأسرة اختل النظام الاجتماعي الطبيعي كله، وليس الذي تصلح به هذه الأسر هو المواعظ التي تحث على الفضيلة فقط بل الذي يصلحها هو ما للقدوة الحسنة من قوة صامتة، وتنظم الأسرة عن طريق المعرفة والإخلاص والقدوة الصالحة ويتهيأ للبلاد من تلقاء نفسه نظام اجتماعي يتيسر معه حكم صالح، من هنا نجده يدعو إلى إصلاحات اجتماعية، التي من شأنها أن تسمح بأن تدار الحكومة لمصلحة الناس جميعاً وذلك يمكن أن يتحقق إذا كان أعضاء الحكومة ممن يتميزون بأقصى قدر من الاستقامة الشخصية، ويتفهمون احتياجات الناس ويهتمون بمصالحهم وسعادتهم. (كولر، الفكر الشرق القديم، ص333)

نلاحظ أن كونفوشيوس أكد على أن أهم ما في الدولة هو حكامها وأعلى من شأن السياسة وإدارة شؤون المجتمع، وأن

الدولة توجد لتحقيق الخير والسعادة للجميع وليس لمصلحة شخص أو طبقة معينة من الناس. والسياسية هي الامتداد الطبيعي للفلسفة. (اوزيرن ص114).

جوهر فلسفة كونفوشيوس هي طريق "التاو"، التناغم في حياة الفرد والمجتمع والعالم عبر تهذيب أخلاقي، الفضيلة الأخلاقية عند كونفوشيوس هي عملية تطور أخلاقي عبر التعلم لإيجاد الماجد "جونتسى" أو رجل الخير أو الحاكم الصالح. ولتحقيق ذلك فإن القواعد التي يقوم عليها الرهان الكونفوشيوسي هي التعلم، الحس بالإنساني، العقل الطقوسي والقدوة. (شنع ص84).

قبل المضي لتفحص عملها المشترك في الفلسفة السياسية الكونفوشيسة لا بد من إجلاء المفاهيم الفلسفية الأربعة لكونفوشيوس وهي التعاطف البشري جين(Jen) الملاءمة أو اللياقة والأدب (Li)، الطاعة البنوية شياو (Xiao) والحق (yi).

التعاطف البشري "جين":

استعمل كونفوشيوس هذا المفهوم بأن البشر يستطيعون المضي وراء ذواتهم، أي أن يجعلوا للغير موقعاً في اعتبارهم، والذين يربون تربية صحيحة هم أكثر من ذواتهم، ينفتحون على الآخرين ويضمونهم إلى حياتهم. بوثيق المخالطة للآخرين، يصبح البشر بشراً بالمعنى الصحيح، أي يغدو بشراً بالبشر الآخرين فقط. إذا هنا "جين" تعني حب الناس، وأن القدرة البشرية على الحب تمثل نواة الطبيعة البشرية، انه المبدأ النهائي للفعل البشري، "والجين" مهم عند كونفوشيوس لدرجة أن الحياة من دونه لا تستحق العيش، قال كونفوشيوس "كن عطوفاً تجاه كل إنسان، ولكن لا تكن صديقاً حميماً إلا للمستقيمين" (سميث، ص247)

منبع التعاطف البشري هو التراث وما فيه من أشخاص ذوي سلطان وتهذيب، أمثلة وتحتذى الذين يجسدون "الجين" بأصالة، أنه الطريق الذي اتبعه الملوك السابقين الذين سلكوا في حكمهم وفق ما أمرت به السماء، فقد قدموا نماذج سامية وتحتذى، فعلوا ذلك لأنهم كانوا مهذبين "جين" خيرين إلى أقصى حدود، وبأوسع معنى ممكن للكلمة أنهم نموذج متعالٍ لم يبلغه سوى حكماء الماضي أي الحكام التام ارتقاؤهم وهم الحكماء أو الحكام الصالحين الذي يجسدون "الجين" بأصالة. (براساد، ص76-83)

يتجلى التعاطف البشري بالقاعدة الكونفوشيوسية التي تقول: عامل الآخرين كما تتمنى أن تعامل أو لا تفعل للآخرين ما لا تريد أن يفعلوه لك. لقد جمع كونفوشيوس بين حياة الضمير "جانغ" التي هي تجسيد لإنسانية المرء الخاصة، السعي الدائم ليكون المرء أفضل ما يستعطيه وأن يفعل أفضل ما يستطيع فعله، والإيثار "شو" الذي يعني وضع الشخص نفسه في مكان الآخرين، ويندمجان "الجانغ" و"الشو" في مبدأ المعاملة بالمثل، أي أن النفس البشرية عند كونفوشيوس لا تنال كمالها الأعلى إلا من خلال العلاقات مع الآخرين. (كولر، الفلسفات الأسيوية، ص 444).

الملاءمة " لي" أو العمل ذو المناسك والآداب:

يرى كونفوشيوس نفسه حافظاً للتراث ومجدداً له بعد انحطاطه من ذرى الماضي. وأساس هذه المهمة هو تعميم صحيح المخالطة الاجتماعية في الصور المسنونة والمضبوطة للمراسم أو المناسك "لي". تتجلى المراسم في المناسك الحاكمة لكل انواع المعاملات من زيارة المعبد إلى مخاطبة الأب ومن أكرام الضيف إلى الوقوف بين يدي الملك.

بيد أن الشغل الأكبر لكونفوشيوس لم يكن وضع المناسك، بل تعليم الناس وخاصة الحكام ما للمراسم من شأن في حفظ الحياة المستقيمة. يرى كونفوشيوس أنه للمنسك قوة فعالة على تبليغ معقد المعاني من حيث رمزيته لا من حيث حرفيته، أي أن للعمل ذي المناسك قوة في خلق النظام الاجتماعي والسياسي. ويقول كونفوشيوس بأنه الحاكمية أو الحكومة بذاتها أمر من أمور العمل ذي المناسك.(Analcet, p,80)

"الجين" أساس الإنسانية والمرشد النهائي للفعل البشري، ولكل موجهات الفعل في الحياة اليومية، هذه المرشدات وحدها هي قواعد اللياقة "لي" التي تحكم العادات الاجتماعية، هكذا تشير "لي" إلى الوسائل الشعائرية التي تتحقق بها الإمكانات الكامنة في الإنسانية "جين". وعند سؤال كونفوشيوس عن "جين" قال: السيادة على النفس والعودة إلى الملائمة "لي" هي الإنسانية "الجين". أي دحر الأنانية والإخلاص والاستقامة الشخصية لأنها أساس وقواعد "لي".

قال كونفوشيوس إذا استطاع حاكم ليوم واحد التسيد على

نفسه والعودة إلى الملائمة، فكل ما تحت السماء سيعود إلى الإنسانية "الجين". أن ما يجعل "لي" معياراً للسلوك هي واقعة التناغم مع "الجين". وعليه فإن العادات الاجتماعية والتنظيمات التي لا تنسجم مع جين هي ليست "لي".

"لي" الحقيقي هو المتمثل في الحكام ذوي الفعل الملائم ممن يجسدون "جين" بأصاله، الفعاليات المراسمية كتجسيديات "لي" كانت عزيزة جداً على قلب كونفوشيوس، بعد مراسم معينة أطلق كونفوشيوس ذات يوم تنهيدة كبيرة. وعند سؤاله عن ذلك أجاب: "كنت أفكر في العصر الذهبي، وآسف أنني لم أكن قادراً أن أولد في ذلك الزمان واجتمع مع الوزراء والحكام للسلالات الثلاث ومضى يقول: كانوا مهتمين بعمق بمبدأ "لي"، الذي من خلاله تستدام العدالة، وتختبر المصداقية العامة، ويكشف التقصير المتعمد. المثل الأعلى للرجولة الحقيقة، "الجين"، والسلوك الحسن والتهذيب والثقافة، كمبادئ صلبه ليتبعها الناس العاديون". (Li Chi pp225-227).

واصل كونفوشيوس حديثه ليوضح أن ذلك العصر الزاهي قد حل بسبب التأكيد على"الجين"و"لي" وأشار إلى مؤسسي الأسر المالكة الثلاث: كانوا يهتمون أعظم اهتمام بمبدأ "لي" الذي من خلاله تتم المحافظة على العدالة، وتختبر الثقة العامة، وتكشف الأخطاء الناجمة عن الممارسة الخاطئة ورفعوا لواء "الجين" باعتبارها مثلاً أعلى للرجولة الحقه، وغرست في نفوسهم الأخلاق الجميلة وروح المجاملة "لي" كمبادئ راسخة ليعمل بها العامة.

" لي" يعطي لإنسانية كونفوشيوس صفه جمالية، ليس للجمال الشكلي للحركة، وإنما بحكم وجود أدب يحمل مبرره في ذاته، جمال الشكل الخارجي وجمال النية الداخلية. أعطى كونفوشيوس موضوع "لي" انزياحا دلالياً من معنى قرباني وديني إلى فكرة استبطانية لكل إنسان، وهي وعي بالآخرين واحترامهم بما يضمن انسجام العلاقات الإنسانية سواء كانت اجتماعية أو سياسية، أذن هي حالة من انتقال الحقل الطقوسي من العلاقات بين الإنساني والغيبي إلى العلاقات القائمة بين البشر أنفسهم، لقد نقل كونفوشيوس المقدس من المجال الديني البحت إلى الدائرة الإنسانية، "لي" إذن هي ما يصنع إنسانية جماعة بشرية وإنسانية كل فرد من هذه الجماعة وأضحى التصرف الطقوسي هو ما يميز بين التصرف الإنساني والبهيمي أو بين الكائنات المتحضرة والبربرية. (شنغ، ص 82-84).

تتجلى الأهمية التي يعلقها كونفوشيوس على " لي" حيث قال: "لي" هي المبدأ الذي جسد من خلاله الملوك القدماء شرائع السماء، وكانوا مثالاً معبراً عن الطبيعة الإنسانية من هنا فإن من يحرز "لي" يعيش ومن يفقدها يموت.(Analects, p. 78)

تبين لنا أن مفهوم " لي" يشير إلى مجموعة عرفيه من الوان السلوك الاجتماعي، بمعنى أن "لي" هي القانون العرفي، أو الأخلاق السائدة، قواعد وأعراف تتطلب مراعاة منضبطة ذات طابع ديني، اجتماعي وسياسي، مشاركة منفتحة على الآخرين الذين هم متشابهون في طبيعتهم الإنسانية المشتركة التي تحفز "جين" وتدعمه، فإذا كانت "جين" هي بذرة الإنسانية المشتركة والماثلة في كل البشر، فإن "لي" هي ما تدعم "جين" لكي تنمو وتزدهر. (كولر، الفكر الشرقي القديم ص352-354).

وعليه فإن العمل ذا المناسك "لي" هو أكبر مقاصد كونفوشيوس لخير الخارج أي إحراز النظام الاجتماعي والسياسي. قال كونفوشيوس: إذا كان في استطاعة المرء أن يحكم بالطقوس والانقياد، فليس ثمة ما يقال أكثر من ذلك، لكن إذا لم يكن في استطاعة المرء أن يحكم البلاد بالطقوس والانقياد فما الذي يمكن للمرء أن يفعله عندئذ بالطقوس (اوزيرن ص117).(Analects, p. 96)

عطفاً على ما سبق، عندما لا تعود الأعراف والتقاليد كافية للحفاظ على المجتمع متماسكاً مترابطاً، فإن الحياة الإنسانية تواجه أخطر أزمة تصادفها في حياتها، وهي أزمة ينبغي على العالم الحديث أن لا يجد صعوبة في فهمها، لأنها تحولت في السنوات الأخيرة، إلى شبح يطارد الإنسانية بشكل حاد. (سميث، ص253)

ولاء الأبناء أو الطاعة البنوية: شياو

قول مأثور ورد في المحاورات: بين البحور الأربعة جميع البشر أخوة.

لأن العائلة هي البيئة الاجتماعية المباشرة للطفل، أكد كونفوشيوس على أهمية الأسرة في تطوير جين، فالطفل يتعلم احترام وحب الآخرين، من احترام ومحبة والديه، وإخوانه وأخواته وأقربائه، وبالتدريج كل الجنس البشري، أن العلاقة التي تؤسس لانتماء أي فرد للعالم كما للجماعة البشرية هي علاقة الابن

بالأب. بر الوالدين هو حجر الزاوية في تماسك المجتمع أنه التجسيد الرائع لعلاقة التبادل والجواب الطبيعي للولد على الحب الذي يكنه أبواه له في إطار التماسك العائلي، بر الوالدين لا يغدو ملموساً إلا عند بلوغ الطفل سن الرشد في الوقت الذي يصبح فيه الأهل محتاجين للعون، بل وبعد موتهم في فترة الحداد التي تستمر ثلاث سنوات، ربما السبب في أن الحداد يستمر ثلاث سنوات يشير إلى الفترة الأولى التي يحتاجها الوليد للخروج من حضن والديه.(Analects, p75, 78)

ولاء الأبناء "شياو" يؤسس للعلاقة السياسية بين الحاكم والرعية علاقة الاحترام المتبادل إنها ليست فقط فضيلة عائلية، أنها تنشأ في العائلة ولكنها تصبح من خلال اتساع نطاقها فضيلة أخلاقية واجتماعية وسياسية، فمن خلال محبة الآباء والأخوة إلى حب الإنسانية بأسرها، ونرى هنا أن بدايات "جين" موجودة في "شياو".

لقد طور كونفوشيوس مفهوم "شياو" من الولاء للآباء الموتى والأسلاف إلى تأدية الواجب نحو الأحياء ومن الولاء للآباء أي خدمة الوالدين تم تطوير المفهوم ليشمل علاقة الأمير بالرعية، علاقة الابن بأبيه، والأخ الأكبر بأخيه الأصغر، علاقة الزوج بالزوجة، وعلاقة الصديق بصديقه إلى العلاقة الأوسع بالبشرية عامة (بارندر ص288).

قال كونفوشيوس أن واجب الأبناء نحو والديهم هو النبع الذي تنبع منه كل الفضائل. هنا يؤكد كونفوشيوس على أن العائلة هي الوحدة الأساسية للمجتمع مؤكداً على مبدأ التقوى والولاء للآباء والإحسان وأن الحضارة في خطر، عندما لا يعود هناك معنى للأبوين في نظر أبنائهم (سميث ص271).

الحق "يي":

قال كونفوشيوس الإنسان الأسمى يعتبر الحق "يي" جوهر كل شيء، يمارسه طبقاً لمبدأ اللياقة " لي" ويبرزها في تواضع ويمضي بها إلى نهايتها في إخلاص، أنه فعلاً إنسان أسمى.

"يي" هنا هو الفعل الصائب أخلاقياً، بعض الأفعال يجب القيام بها لسبب هو صوابها أو لأنها حق. طاعة الآباء واحترامهم من شروط "يي" لأنها صائبة أخلاقياً وليس لأي سبب آخر. الأفعال كلها يجب أن تنجز فقط لصوابها الأخلاقي وليس لما تنتجه. ممارسة "جين" هي الفعل بدافع الحب واحترام الإنسانية أنه "يي" وليس لأي سبب آخر.

" لي" "وشياو" "ويي" هي سمات الشخص الأسمى ذي الإنسانية المتطورة، المهذب والواعي أخلاقياً قد كانت قناعة كونفوشيوس أن تثقيف "جبن" بواسطة " لي"، و "شياو""ويي" ستؤدي إلى تجسيد شخصي للفضيلة وينجم مجتمعاً حسن التنظيم. هنا لا فصل بين الأخلاق والسياسة، إذا كان الأشخاص صادقين مع أنفسهم، فسوف يجسدون الفضائل المختلفة، وإذا فعل كل شخص هذا، سيتم ضمان حكومة صالحة ونظام اجتماعي منسجم تعمه السعادة. (كولر، الفلسفات الأسيوية ص450).

الإنسان الماجد أو السامي: Juntzu

الغاية من التهذيب عند كونفوشيوس هي الفكرة المعبرة عن الكمال، هي الشخص القدوة "الجونتسي" الماجد، أو الحكيم "شنغ رن" القادر على فهم العالم من جهة ما هو كل، وعلى دمج الحقائق والأعمال الجزئية في نظام كوني ذي معنى، أنه تعبير عن المثال الذي ينشد المجتمع كله أن يحققه، الحكيم أو القدوة أو "الجونتسي" هو الذي هذب موقفه ومهارته في التأويل وقدرته على الاحتمال وتوافق اسلوباً وجوهراً، الحكيم هو الذي يعي تنوع السبل وكثرة المعايير، ولا يحاول إكراه الآخرين على اتباع معاييره، ويفهم الحكيم أن التغير هو طبيعة الأشياء جميعاً، لذا فإنه لا يتشبث بالأشياء ولا بمن حوله من الناس لأن من طبع العالم أن يمضي امرؤ ويبقى آخر. (براساد، ص124).

الحكمة تبدأ في البيت، وأساس المجتمع هو الفرد المنظم في الأسرة المنتظمة، ويرى كونفوشيوس أن الرقّي الذاتي أساس الرقّي الاجتماعي، الرجل الماجد هو الذي تجتمع فيه الفلسفة والقداسة، وهو الذي تجتمع فيه ثلاث فضائل هي الذكاء والشجاعة وحب الخير، وهو متواضع في حديثه ولكنه متفوق في أعماله، معتدل في قوله وفعله، ويحمل عطفاً فياضاً على الناس جميعا. (ديورانت، ص 58)

يرى كونفوشيوس أن للإنسان رسالة مقدسة هي تأكيد انسانيته أو السمو بها على الدوام، تتقدم هذه الرسالة على جميع واجباته المقدسة الأخرى إنه الضمير الأخلاقي الفردي، "الجونتسي" يجب أن يكون مستعداً لأن يكون غير معروف من البشر دون أن يشعر بالأسى، بمعنى الزهد بكل المنافع

والدلالات الخارجية للنجاح والتقدير الاجتماعي والسياسي.(Analects, p.79)

"الجونتسي" يضحى بنفسه إذا اقتضت الضرورة قال كونفوشيوس رجل "الجين" الحقيقي، ابعد ما يكون عن الحفاظ على حياته إذا ما طلبها "الجين" يضحى بها عند الحاجة ليعيش "الجين"(Munro pp185-197).

أي أن الخيري "الجونتسي" لا يتعامل مع الآخرين على أساس ماذا يمكن أن يؤخذ منهم، بل على أساس ماذا يمكن أن يفعل من أجل راحتهم وسعادتهم. انه لا يتكلم كثيراً، لا يتفاخر، لا يسعى إلى أن يبرز تفوقه (ماعدا الألعاب الرياضية) لا يرتبك قلبه، خلو من الخوف، والقلق، لا يحس بالقلق لكرم أخلاقه، برئ من الحيرة والتشوش لأنه حكيم، لا يخشى أحداً لأنه شجاع يتسامى الخيري أما الخسيس فينحط، الخيري يدرك ما هو صواب ولا يفهم الخسيس إلا ما هو مربح، الخيري يراعي الفضيلة في حين يراعي الخسيس الحيازة والاقتناء، الخيري يفكر في الصداقة المجردة، لكن الخسيس يفكر في جني المنفعة من وراء العلاقات الشخصية، الخيري واسع الأفق ولا يتشيع لأحد، الخسيس ضيق الأفق يتحزب في سبيل منفعته، والماجد أو الخيري صاحب نظر ثاقب وفكر مستنير، يقدم مصلحة الدولة على مصالحة الشخصية الخيري لا يعني الميلاد المحض من أسرة نبيلة بل كل من يتحلى ب "لي" و "جين"من أي طبقة من الشعب فإنه مؤهل لأن يصبح حاكماً صالحاً، (شبل، ص91-92).

قال كونفوشيوس: "أن الخيري الحقيقي الكامل هو الذي يستطيع أن يضع الأسس العظيمة للمجتمع المتحضر وبالتالي يمكن أن يتحرك العالم نحو السلام". وقال: "إذا كان هناك بر واستقامة في القلب سيكون هناك جمال في الأخلاق، إذا كان هناك جمال في الأخلاق، فسيكون هناك انسجام في البيت، إذا كان هناك انسجام في البيت، سيكون هناك نظام في الأمة، إذا كان هناك نظام في الأمة، سيكون هناك سلام في العالم" (سميث ص268).

قال كونفوشيوس: "أنه من السهل أن تتعامل مع الماجد (الخيري)، ولكن من الصعب أن ترضيه إذا كانت طريقتك مخالفة "للتاو" السبيل، الماجد لا يطلب من الآخرين سوى ما يقدرون عليه وفقاً لقدراتهم، لكن الرجل العادي من الصعب أن تتعامل معه، لكن من السهل إرضاؤه، لأنه لا فرق عنده إذا ما كانت طريقك موافقة "للتاو" السبيل أو مخالفة له ويطالبك بما تعجز عنه". (Analects, p.168)

وأضاف كونفوشيوس "أن الماجد يحترم ثلاثة أشياء، يحترم إرادة السماء ويحترم الرجال العظام ويحترم كلمات الرهبان، الرجل الصغير لا يحترم إرادة السماء ولا يحترم الرجال العظام، ويحتقر كلمات الرهبان". (Analects, p.195)

المعرفة "تشي" عند كونفوشيوس أساس بناء الخيري، المعرفة الصحيحة هي التي تخلق الرجل الماجد وهي التي تنتج عائلة صالحة وحكومة عادلة وهي التي تؤدي بوجه عام إلى خلق عالم تسوده العدالة والمحبة والسلام. لذا قال كونفوشيوس أن هدف المعرفة هو الصعود نحو أن يصبح الإنسان أكثر كمالاً في إنسانيته،كان أول الدروس التي يلقيها كونفوشيوس على تلاميذه، الوضوح والأمانة في التفكير والتعبير، وفي ذلك يقول:"كل ما يقصد من الكلام أن يكون مفهوما" وأضاف "فإذا عرفت شيئاً فتمسك بأنك تعرفه وإذا لم تعرفه فأقر بأنك لا تعرفه، وذلك في حد ذاته معرفة". وكان يرى أن غموض الأفكار وعدم الدقة في التعبير وعدم الإخلاص فيه الكثير من الكوارث الوطنية. لقد آمن كونفوشيوس أن التعليم والفنون طاقات تحول المجتمعات والقلب الإنساني، إلى الخير والمحبة، طريق السلام في العالم. (Analects, p.83)(ديورانت، ص52).

كان كونفوشيوس متواضعا في عظمته؛ حيث قال: "لقد نقلت ما تعلمته دون أن أضيف من عندي أي شيء، كنت مخلصاً ومحباً للقدماء (الخيرين)، لقد استمعت بإصغاء ودونت ما سمعت، لم أمل من التعلم ولا أصابني الضجر من تعليم الآخرين ما تعلمته أنا، وهذا ما استطيع ادعاءه من موهبة بكل ثقة، لكن ما عجزت عنه أن اسمو وأطور فضيلتي الأخلاقية "Te"، وعجزت أن يكون علمي كاملاً، وعجزت عن أن اتواصل مع الرجال الخيرين الذين سمعت عنهم وعجزت كذلك عن أن أصلح الرجال الأشرار الذي سمعت عنهم، هذه هي الأفكار التي تزعجني" (Analects, p.115)

حول الطريق إلى السلام العالمي، فإن مبدأ السلام الكبير "الغونغ يانغ" "Gongyang" يهدف لتحقيق الحرية والمساواة لأمم الأرض دون أي تمييز، شرط تناول المسائل السياسة والاجتماعية بعقل محب، فإن كونفوشيوس يرى بأن التعليم أي

تمحيص الأشياء هو عنصر أساسي من عناصر الفلسفة الاجتماعية والسياسية، مؤكداً أن الهدف الأكثر أهمية هو الوصول إلى معرفة طبيعة الإنسان والأشياء، يقول كونفوشيوس: "تتمثل مبادئ التعليم الأسمى في الحفاظ على طابع الإنسان النقي، وفي إعطاء حياة جديدة للناس في الاستقرار وفي الكمال والخير المطلق، فمن خلال التعليم وحده سيعرف الناس أنفسهم والعالم. ولا تنتظم الحياة دون هذه المعرفة، فالسلام والسعادة لا يسودان إلا عندما تنسجم الحياة مع العالم وأن هذه المعرفة الحقه تنشأ عندما تتم معرفة جذر الأشياء وأساسها". (جون، م.كولر، ص454)

يضرب كونفوشيوس مثلاً لما يعنيه تملك ناحية المعرفة الحقيقة عندما يقول؛ "في التصدي للفصل في القضايا، فإنني في كفاءة أي شخص آخر، والأمر الجوهري هو أننا ينبغي أن نجعل هدفنا إلا تكون هناك قضايا على الإطلاق"، أي أن على المرء أن يقضي على الشر بالقضاء على أسبابه، ومعرفة الأسباب الرئيسية هي في المقام الأول في تصحيح أوجه الاختلال، أي معرفة الأسباب الأساسية للجرائم، فإنه سيكون من الممكن القضاء على الجريمة ذاتها، وبالتالي التخلص من القضايا، وهذا يعني معرفة المبادئ التي على أساسها يتصرف المرء، فإن المعرفة الحقة لا يتم الحصول عليها إلا عندما تكون هناك معرفة بالنفس، ذلك أن كونفوشيوس ينظر دائماً إلى النفس الأخلاقية والاجتماعية والسياسية التي لا يمكنها أن تفعل إلا الخير هي قوة مطلقة. (جون كولر ص، 360–361).

المعرفة الأهم عند كونفوشيوس هي معرفة النفس، وتهذيب الذات، معرفة العلاقة مع الآخر والمبادئ التي تحكم هذه العلاقات. قال كونفوشيوس: "المعرفة تحرر الإرادة، ومن يملك المعرفة لن يخدع نفسه، وفساد الشخصية لا يبقى سراً لأن الشخص لا يعيش في عزلة بل يؤثر ويتأثر بكل المجتمع البشري". (yutang. P143-144)

تصويب الأسماء "جنغ منغ" أحد مفاتيح الفضائل البشرية الأساسية عند كونفوشيوس. الاستعمال الصائب للكلمات "جنغ منغ" أي وجود مطابقة الكلمة مع الواقع الذي نسميه، أي الأفعال والعلاقات البشرية. سئل كونفوشيوس عن ماهية الحكومة الصالحة فأجاب: "توجد الحكومة الصالحة حيث يكون الأمير أميراً، والوزير وزيراً، والأب أباً، والأبن أبناً". أي يجب أن تتطابق الأفعال مع معنى كلمة حاكم أو أب، أن تتوافق شخصية الفرد وأفعاله مع المثل المعيارية، لأن من طبيعة كل شيء أن يؤدي الدور الملائم له، ولا يختلط بأدوار أشياء أخرى مناقضة، فالسلطة لا تجعل من المرء سيداً على نفسه إذا كان يرسف في أغلال شهواته، وعندما يوسد المنصب إلى غير أهله، فإنه لا يجعل منه أهلاً على الأطلاق دائماً يكشف عجزه وتفاهته، لذا من الخطأ أن تسمى الأشياء بأسماء زائفة لا تخصها، لأنه وعلى المحك تظهر خصائصها الحقيقية. أي أن يكون الحاكم عادلاً والصديق مخلصاً، وبذا يكون المجتمع متناغماً والناس سعداء. (koller and Koller, p. 424)

ربط كونفوشيوس المعرفة بالاستقامة وقال: "حب الاستقامة من غير حب المعرفة يقود إلى حجب الاستقامة بستار ضار، المعرفة هي الإلمام بالسلوك الصحيح "لي". بما يتضمن من الدماثة والمجاملات والعادات الحسنة والسنن الاجتماعية، والشرائع السياسية الصالحة أو السلوك الحميد، لذا آمن كونفوشيوس بالديمقراطية الثقافية وآمن بقدرة الناس على التفكير بأنفسهم ولأنفسهم ودعا إلى أن يكون التعليم مفتوحاً للجميع وقال: "في التعليم تنتفي الاختلافات الطبقية وتتساوى طبائع الناس وغرائزهم، ولكنهم يتمايزون بفضل المعرفة والتجربة "وقال أنه لن يعلم إنساناً لا يعبأ بالمعرفة"، وأضاف: "دراسة بدون تفكير عمل ضائع، وتفكير بلا دراسة مجازفة خطيرة، وأضاف يبدأ التثقيف بالشعر، وترسخه قواعد اللياقة والذوق وتكمله الموسيقى". (شبل ص83، 84)

يركز كونفوشيوس نظره على تهذيب الحياة القائمة على أحكام المناسك وسوي المخالطة للمجتمع والبحث عن الدولة المنظمة من خلال المعرفة البراغماتية – الفعل الواجب، جواباً على سؤال ما المعرفة قال كونفوشيوس "أنها المعرفة بالآخرين والمعرفة بالآخرين هي الآخذ بالاستقامة وترك الاعوجاج حتى يمكن تقويم المعوج"، اهتمام كونفوشيوس هنا على المعرفة البراغماتية التي تبين للمرء كيف يجعل للناس مكاناً في اعتباره عند قيامه بأفعاله، فالمعرفة هي اعتبار للشيء من جهة ما هو صواب "شي"، أو خطأ "في"، ولا فصل بين الاعتقاد والعمل، أنه "التاو"، السبيل الصحيح، السبيل للوصول إلى النظام ولحفظه، أي أن للمعرفة عند كونفوشيوس وجهان: :الوجه الداخلي للمعرفة يعنى بتهذيب الذات والسلوك، أما الوجه

الخارجي يعنى بتنظيم البلاد اجتماعياً وسياسياً". (براساد، ص103-204)

قواعد الحكم التي يجب الألتزام بها:

أ- الحكم بواسطة الفضيلة "Te": تعد الفضيلة من المبادئ الأساسية التي تتمحور حولها النظرية السياسية لكونفوشيوس، لقد أعلى كونفوشيوس من شأن الفضيلة كأساس للحكم، على اعتبار أنها الطريق الوحيدة ليكتسب الحاكم احترام الشعب وطاعته دون اللجوء إلى الوسائل القمعية، وعليه رأى كونفوشيوس أن الحاكم الفاضل قادر على إصلاح الشعب وعلى تحقيق السلام والنظام، ليس بقوة القانون ولكن من خلال الشخصية الفاضلة، فهي الدستور الذي يعتمد عليه الحاكم في تحقيق النظام والاستقرار، الفضيلة هي سلطان الضمير تستمد سلطتها من داخل الذات لأنها قيمة مستقلة عن تقلبات السلطة، لذلك فإن تأثيرها على الشعب وعلى كافة مؤسسات الدولة وعلى العاملين فيها يفوق تأثير أي قانون، لأن القانون قد يجبر المواطنين على الطاعة، إلا أنه وعلى المدى البعيد فإنه وسيلة عقيمة لا يمكن الاعتماد عليها، في حين أن للفضيلة تأثيراً كبيرا على إدارة شؤون الدولة و إمكانية تحول الأفراد والمجتمع وتطورهم. (Creel, Confucius and Chinese Way p.124)

جعل كونفوشيوس من شروط الحكم توافر الخلق القويم ورجاحة العقل في الحاكم دون الاعتبار إلى منبته، وكان يقول لأحد مريديه من ذوي الأصل المتواضع بأنه ولرجاحة عقله قد يلي العرش يوماً ما، وقال: "يكون الحاكم بارعاً عندما يدير شؤون حكمه بالفضيلة، وعليه يكون مثل نجمة الشمال التي تحافظ على وظيفتها في جعل بعض النجوم تدور في فلكها". (Analects, p.80)

الفضيلة هي أساس الحكم الصالح لا القانون، وصلاح المجتمع يعتمد على القدوة الصالحة من الحكام، قال كونفوشيوس: "لكي يتم الإبقاء على ثبات المجتمع يتعين أن يكون له قادة يمكن الوثوق بهم، وأن القادة الوحيدين الذين يمكن الوثوق بهم هم الرجال ذوو الشخصية، التي يتم تطويرها من خلال التربية التي يتم اكتسابها من الآخرين، ومن ضبط النفس معاً، وأنه ما من إنسان يعد قائداً مأموناً إذا ما مضى إلى أقصى حدود التطرف، وأن السلوك القويم ينبغي أن يكون مناط اهتمام الحاكم، وأنه ما من صاحب منصب عام يحق له أن ينظر باستخفاف إلى مسؤولياته وعن توجيه سلوك من يرعاهم نحو الخير". (جون كولر، ص365-366)

على الأمراء أن يحكموا عن طريق الفضيلة "Te"التي هي مركز رفيع، الحاكم الخير يمارس الفضيلة فيتحول الآخرون للخير، الإنسان الذي يسعى لأن يكون "جين" بتهذيب قوته "Te" يبلغ المثل الأعلى للأمير، والمثل الأعلى للأمير أو الحاكم هو "الجونتسي" الرجل الماجد، الذي هو تجسيداً للمثل العليا للسلوك البشري أو الإنسان في أحسن احواله.هذا الإنسان "الجونتسي" تحكم "لي""الشعائر" سلوكه كله. إذا القدوة – الإنسان المهذب الحقيقي المثل الأعلى للحاكم عند كونفوشيوس. (بارندر 287).

مقاربة الفضيلة بين كونفوشيوس وميكافللي:

ابتداء يمكن القول بأن المثال الأعلى الإنساني للحكم عند ميكافللي هو الأمير البطل، الإنسان الشجاع، وأن الطموح الصحيح لهذه الشخصية البطولية يتمثل في أن يكسب لنفسه أعظم درجة ممكنة من الشرف والمجد والشهرة، وبذا فإنه يجسد معنى الفضيلة في شخص الأمير. ولذا فإن ميكافللي عندما استعمل مصطلح الفضيلة (Virtu) فقد قصد به كل صفة تساعد الأمير على الحفاظ على دولته، ومن هنا يُلاحظ واقع الانفصال الحادّ والحاسم بين الفضيلة عند ميكافللي والفضائل بمعناها المعهود. فقد أصبحت الفضيلة عنده تتخارج عن معناها التاريخي الفكري والفلسفي والاجتماعى.(Hexter, pp 956-957)

إن المستفاد للفضيلة عند ميكافللي، هو الإنسان الشجاع ذي الجرأة، وعلى الأمير وقبل كل شيء أن يكون رجل "تصرف مرن"، وأكثر من ذلك فإن عليه أن يكون قادراً على تغيير سلوكه من خير إلى شر وتكرار ذلك بحسب ما يملي الحظ والظروف" (ميكافللي. ص223)

نقطة التحدي عن ميكافللى هى بحث دور الفضيلة فى الحياة السياسية، وعند مقارنة ذلك مع فكرة الفضيلة عند كونفوشيوس: نرى أنها عند كنفوشيوس تعنى الصفة التى تمكن الحاكم من تحقيق أنبل الأهداف، وأن الحيازة على الفضيلة يساوي الحيازة على جميع الفضائل الرئيسية، لكن نجد أن ميكافللى أنكرها وأن قال أن الأهداف الصحيحة التى على الأمير أن يستهدفها هي الشرف والمجد والشهرة، غير أنه رفض

بشدة الاعتقاد أن السبيل لتحقيق تلك الأهداف هو، دائماً، متمثل فى العمل بالطريقة الفاضلة تقليدياً فقد جوّز للأمير أن يسلك طرائق مختلفة تتعارض مع فكرة الفضيلة بصورتها التقليدية التاريخية، طالما أنها هذه الطرائق تحقق الأهداف المرجّوة. (كوينتن سكنر، ص252–253).

جوهر رسالة ميكافللى هى أنه لا شيء يهم اطلاقاً، ما دام يحقق النجاح بذلك الأمر، ويقول أن هدف الأمير هو أن يقال عنه بأنه شريف وأن يمتدح. وإن لم يكن رجلاً فاضلاً بالمعنى الحقيقى، فمن الجوهري أن يكون حكيماً عارفاً كيف يتخلص من السمعة الشريرة ذات الصلة بتلك الرذائل التي يمكن أن تجعله يخسر دولته. (ميكافللى، ص223)

ويقول على الأمير أن يكون راغباً فى أن يصير كذاباً عظيماً ومخادعاً كبيراً مستغلاً حقيقة أن البشر بسطاء، وأن المخادع سوف يجد دائماً من هو مستعد لأن يُخدع إذا ميكافللى يبدوا ذرائعياً فى رؤيته لصورة الفضيلة التى يراها فى حاكمة (أميره)، لأن الهدف الذي يحرّك ميكافللى هو النجاح فى الحفاظ على الدولة بأي شكل وبأي وسيلة حتى لو أدّى إلى خسران الأمير للفضيلة بمعناها التقليدي، لأن الفضيلة التى يقترحها ميكافللى مساوية لفكرة النجاح فى الحفاظ على الدولة، بأي وسيلة ممكنة، ولا ينظر إلى هذا بوصفه تزييف للفضيلة المتعارف عليها.(ميكافللى، 222)

فالموهبة هنا هى معاكسة تماماً لفكرة الفضيلة عند كونفوشيوس، ميكافللى يرى بأن الموهبة التى لا بد من وجودها هى فى القدرة على تزييف الفضيلة أي أن الأمير لا يلزم أن يتصف بالصفات الحميدة كلها، لكن عليه أن يظهر أنه يملكها وفى جميع الأوقات ويقول ميكافللى "إذا حسبنا حساب كل شيء فإن الأمير، بعد ذلك سوف يجد أن بعض الفضائل التى تبدو فضائل، سوف تقضى عليه، إذا مارسها، وأن بعض الأشياء، التى تبدو شريرة ستجلب له الأمن والازدهار". (ميكافللي، ص 214)

نجد هنا أن حجة ميكافللى تتمثل فى أنه فصل السياسة عن الأخلاق وأكد فى النتيجة على استقلالية السياسة، حين قال إذا كان الحاكم مهتماً بالحفاظ على دولته عليه أن يضع جانباً متطلبات الفضيلة المسيحية، ويتمسك بكل قلبه بالأخلاق المختلفة جداً التي يمليها وضعه، وفي حين يدعو كونفوشيوس إلى اتحاد السياسة والأخلاق نجد أن ميكافللى أكد على أن السياسة منفصلة عن الأخلاق. وهكذا فإن الأخلاق والسياسية عند كونفوشيوس تتحدان بعلاقة ارتباطية موضوعية، فيما هما عند ميكافللى تتخارجتان عندما تصبح مصلحة الأمير أن يحافظ على الدولة ووجودها وقوتها.(Berlin, p183)

بالخلاصة نستنتج أن هناك تضادا جوهريا بين نظرية كونفوشيوس فى السياسة والحكم ونظرية ميكافللى، حيث يؤكد كونفوشيوس دائماً على شخصية الحاكم الفاضلة واستمرار تمتعه بهذه الصفة، إذا يعتمد نظام الحكم فى المقام الأول على شخصية الحاكم، فإذا كان ماكراً أو مخادعاً فلن يكون هناك أمل فى تحقيق النظام الاجتماعى والسياسى المنشود، ولا يحتاج الحاكم لتحقيق الحكومة الصالحة إلا إلى استقامته الداخلية، إلا إلى فضيلته التي يجعلها كالقانون. (هالة، ص159).

ب– القدرة الحسنة: تعني أن يكون الحاكم مثالاً فعالاً يشاهد الشعب فعاليته في كل أنحاء الإمبراطورية. الحاكم بحكم موقعه ووظيفته هو موضع أنظار الجميع سواء داخل الدولة أو خارجها. أمن كونفوشيوس بأنه لا يمكن إصلاح الشعب بالكلمات فحسب، ولكنه أكد على الدور العام الذي يلعبه المثال في هذا المجال، إن نظام الحكم، مثل الضمير، يصبح "عقلياً مستساغاً" بمجموعة من المبادئ منها القدوة الحسنة". (هالة، ص156–157)

يرى كونفوشيوس على المستوى السياسي أن التربية مركزية في عملية تطور الفرد، في حكم يعتمد على الفضيلة ينشغل الحاكم بتربية رعاياه قبل كل شيء، الحاكم ليس هنا ليرغم، وإنما ليحول باتجاه التوافق، أي أنها تربية تقوم على الاقتداء ومحاكاة النماذج، أكثر مما هي امتثالية للقوانين وكما قال كونفوشيوس "عامل الناس باحترام فيجلوك كن ابناً باراً بوالديك، أميراً صالحاً على رعاياك، فتطاع بصدق، احترم الناس المرموقين، علم الأقل أهلية وهكذا يندفع الجميع لعمل الخير. في نظر كونفوشيوس لم يعد فن الحكم مسألة تقنية سياسية تقتضي تخصصاً، أو الحكم كفن سياسي، أنما هو موضوع كاريزما شخصية يجب امتلاكها وتنميتها. عمادها الاستقامة الشخصية للحاكم أو طريق "التاو"، من هنا فأن مفهوم كونفوشيوس للحكومة هو مفهوم أخلاقي، عندما تؤسس كل العلاقات بين الناس على أساس الفضيلة وعندما تنجز الأفعال وفقاً للأعراف سيكون المجتمع حسن

التنظيم والناس سعداء وبالتالي فأن الفضيلة أساس في التطور الاجتماعي والسياسي، لم يؤكد كونفوشيوس على أن الطبيعة البشرية خيرة أساساً، لكنه افترض أن للبشر إمكانية كامنة للخير ويرى أن تطوير هذه الإمكانية هو واجب الحكومة الأول. (شنغ، ص88)

يرى كونفوشيوس أن مهمة الحكومة أن تحكم، والحكم يقصد به الإصلاح، فإن القدوة الحسنة تعد من أولى، بل من أقوى وسائل الإصلاح، فالقدوة تتضمن أن يكون الحاكم مثالاً فعالاً يشاهد الشعب فعاليته في كل إنحاء البلاد، وأنه منذ أن أصبح الشعب لا يملك السلطة الفعلية، فإنه لا يمكن تحميله مسؤولية أمراض الحكم، فإذا تم إلقاء القبض على مذنب فيجب على القاضي إلا يبتهج لذلك، بل يشعر بالأسى، لأن ذلك حدث نتيجة لابتعاد الحاكم عن الطريق الصحيح، جاء ذات يوم أحد السياسيين يسأل عن سبب انتشار الجرائم داخل المقاطعة وكيفية علاجها، فقال كونفوشيوس: "إذا لم تكن أنت رجل الرغبات والشهوات فلن تجد أحد يسرق حتى ولو أصبحت السرقة تقود إلى المكافأة وأضاف أن خطأ الحاكم مثل كسوف الشمس أو خسوف القمر، كل واحد من الشعب يراه، وعندما يصحح أخطاؤه كل أنظار الشعب تتوجه إليه". (Analects, p.216).

الحاكم الذي يجسد المثل الأعلى للمفهوم السياسي الكونفوشيوسي هو "الجين" أن يتولى الحكم بالحسنى لا بالقهر أن يتحلى بال "Te" الفضيلة، القدرة على التأثير، دون أن يفرض نفسه أو دون اللجوء إلى أي شكل من أشكال الإكراه الخارجي، المفهوم السياسي هنا لا يقوم على السلطة وإنما على الفضيلة والتناسق والانسجام الطقوسي، أو ما يسمى القوة المحولة "هو" "hua" التي تفرض دون إرغام أو أي استخدام للقوة أو الإكراه، قال كونفوشيوس "أن تحكم بقوة القانون، وأن تحفظ النظام عن طريق العقاب يكتفي الناس بالإذعان دونما شعور بأقل خجل، أن تحكم بواسطة الفضيلة وتناغم الطقوس، لا يعرف الناس الخجل وحسب وإنما ينضبطون من تلقاء أنفسهم" (Analects, p, 80)

أعلى كونفوشيوس من شأن القدوة الصالحة في الحكم وجعل منهم أمثله تحتذى، طريق الملوك السابقين الذين سلكوا في حكمهم وفق ما أمرت به السماء، نماذج تحتذى، لأنهم كانوا مهذبين "رن" وخيرين، أنهم نماذج متعالية، كأسرة "تشو""Chow" ومؤسسها الملك "ون""Wen" الذي حكم قبل كونفوشيوس بخمسمائة عام، يرى كونفوشيوس أن ثقافة الوين "Wen" ونقلها هي رسالة يجب أن تعيش من خلاله، وأن إرادة السماء لهذه الثقافة أن لا تدفن، وأنها مسؤوليته هو أن يبشر بها، وتتجسد أهمية القدوة الحسنة في كون النموذج الأخلاقي للحاكم من المؤكد محاكاته من جانب الرعية، لذا قال كونفوشيوس "أجعل نفسك مثالاً لموظفيك كي يتبعوك". (Analects, p. 82) (ديورانت، ص45)

كان كونفوشيوس يتيه إعجاباً بتلك النماذج، لذا دعا إلى أن يدير شؤون الحكم أكفأ الرجال وأعلمهم، الكفاءة والعلم لا تمتان بصلة إلى النسب أو الحسب أو الثروة، أو المركز الاجتماعي، بل بناءً على الخلق والمعرفة، ومن خلال التعليم السديد، لذا يجب نشر التعليم في البلاد كي يتيح لأصحاب المواهب تولي وظائف الدولة وشؤون الإدارة. آمن كونفوشيوس بأن التعليم وحده قادر على التغيير على أن يتولى المتنور سياسياً واجتماعياً شؤون الإدارة والسياسة.(A. pott, p73)

عندما كان كونفوشيوس وزيراً للعدل في مملكة لو زار السجون وكان حصيلة مشاهداته أن قال: "لقد درست سجوننا، أن أغلب المسجونين عندنا من الفقراء أو أبناء الفقراء. وتبينت أيضاً أن أغلب هؤلاء المسجونين جهله أو أبناء جهلة. ويبدو لي أن الفقر والجهل يدفعان الناس إلى ارتكاب الجرائم والخروج على القوانين فإذا قضينا على الفقر والجهل لما وقعت في بلادنا جريمة" وأضاف "طريق القضاء على الجهل هو طريق التعلم، فإذا علمنا جميع الناس في إقليمنا قضينا على الجهل ونستطيع القضاء على الفقر بتعليم الناس الصناعات والحرف ليكسبوا عيشهم بشرف". سأله أحد القضاة كيف نبدأ هذه التغيرات وأجابه كونفوشيوس "أنتم حكامهم، ومن واجبكم أن تكونوا قدوة صالحين فالناس في حاجة إلى حكام يستطيعون أن يتبعوهم، فإذا كان الحكام فاسدين أصبح الناس هم الآخرون فاسدين. ولكن إذا كان الحكام صالحين فسيحذو الناس حذوهم ويصبحوا صالحين. فأول قاعدة للصلاح هي ألا تفعل للآخرين ما لا تحب أن يفعلوه لك"(مظهر ص200).

أكد كونفوشيوس أهمية المساواة أمام القانون، وأنه لا يجوز أن تكون هناك امتيازات لأي مواطن على غيره وقال: "لو أن الحاكم حافظ على تطبيق الإدارة الحسنة، والرعية حافظوا على

النظام، وكان الكل أمام القانون سواء، فلسوف يقلع الناس عن ارتكاب الآثام والشرور، ولن يشعروا بأي خجل، وعلى الجانب الآخر لو أنهم حافظوا على النظام وكان هناك امتياز لرتبة معينة أمام القانون سوف يشعرون بالخجل ووخز الضمير" (فاضل، ص156)

أهمية الحكومة عند كونفوشيوس:

الحكومة بنظر كونفوشيوس هي التي تستمد شرعيتها من الشعب، ويتولى أمورها رجال أكفاء مؤهلون لهذا العمل. لذا في مسألة شرعية الحاكم قال كونفوشيوس: "أن الرجل الذي يمكن أن يكتسب ثقة العامة، ويتمكن من الحصول على سلطة عليا هو الذي يتمتع بالأساس بصفات أخلاقية متميزة، تجعل له الأولوية على سائر أعضاء المجتمع، أذا تمكن الإنسان من إصلاح ذاته فما هي الصعاب التي سوف تواجهه في أن يشارك في الحكم" (Analects, p.164)

بنظر كونفوشيوس فإن الحكومة الصالحة هي التي تؤمن السعادة للشعب، وبما أن الإنسان كائن اجتماعي يشكل محور المبادلة الاجتماعية، فعلية أن يسعى لتحقيق السعادة للجميع. لكن الناس وأن كانوا ينشدون السعادة فأنهم يفضلون اللذة العاجلة على اللذة الأعظم الآجلة. من هنا فأنهم يتصرفون بعيداً عن تكامل المجتمع ويسعون لتحقيق سعادتهم عن حساب الآخرين. السعادة هي هدف البشر، أخيارهم وأشرارهم على السواء، فإما الاخيار فيسعون إليها من الطريق الصحيح من خلال ممارسة فضائلهم، أما الأشرار فيقصدون إلى الشيء نفسه ولكن من الطريق الخطأ من خلال الشهوات، ولمعالجة هذه المعضلة يرى كونفوشيوس أنه لا بد من التثقيف العام وبث روح التضامن بين الناس، واعتبار المواطن المستنير ركن الدولة التي ترتكز عليه والمعول عليه بنهوض المجتمع. أما العقاب بنظر كونفوشيوس فإنه وسيلة عقيمة ومؤقتة لا يمكن أن تحل محل التعليم والتثقيف. فيقول كونفوشيوس "إذا ما حاول حاكم قيادة الشعب بالاستعانة بالسلطة المطلقة، وتوقيع شتى العقوبات لإقرار الأمن والنظام، فسينشد أفراد الشعب تحاشي العقوبات غير عابئين باحترام السلطان واحترام إرادته، ولكن إذا استعان الحاكم في سياسته بالفضيلة، وارتكن على العادات الصالحة التي يقدسها الشعب ويوقرها، فإن الناس يتلاحمون برباط معنوي متين لتقويم أنفسهم وإصلاح حالهم" (زيعور، ص 441) (Analects, p.96)

آمن كونفوشيوس بضرورة وجود الدولة وبقدرتها على حل المشكلات في الوطن، لكنه عزا الشرور الكثيرة في عصره إلى فقدان الدولة الصالحة التي تسهر على مصلحة الجميع، وإلى تحكم السلطة الفاسدة، وعزا فساد الحكومة إلى فساد القائمين عليها، أما لفساد أخلاقهم أو قصور مؤهلاتهم، وأنه ليس بوسع اعنف الزلازل ولا اعتى السيول أن تلحق من الخراب ما يلحقه المنصب والسلطة حين يقعان في أيدي الأشرار سأل كونفوشيوس أمراه تعيش في الغابة، أكل النمر والد زوجها وزوجها وابنها، لماذا تعيشين هنا في هذا المكان الخطر، أجابت لأنه ليس هنا حكومة ظالمة، عندها التفت كونفوشيوس إلى تلاميذه وقال لهم: "أي أبنائي أذكروا قولها هذا، إن الحكومة الظالمة أشد وحشية من النمر"، أي أن الحكم يقوم على الاستقامة وإذا افتقدت العقوبات إلى الصدقية ضل الشعب طريقه. (ديورانت، ص45)

ظروف الخروج على الحاكم:

أكد كونفوشيوس على أهمية وجود الشعب المثقف الواعي لحقوقه وواجباته، الذي يمكن أن يحد من نفوذ الحاكم إذا ما حاول أن يستبد، فالشعب هو المصدر الفعلي والحقيقي للسلطة السياسية، ذلك أن كل حكومة لا تحتفظ بثقة الشعب تسقط عاجلاً أو آجلاً. (هالة، ص193).

أجاب كونفوشيوس على سؤال ما معنى أن نحكم؟ فقال:" هو السهر على تأمين ما يكفي الناس من المؤن والسلاح وتأمين الثقة، وعن السؤال إذا كان لا بد من أن نتخلى عن أحدهما أجاب السلاح وإذا كان لا بد من أن نتخلى عن أحد الاثنين الباقين أجاب المؤن، إذ أن البشر في كل زمان، عرضه للموت ولكن شعباً لا ثقة لديه لا يمكنه الاستمرار"، وعليه فعندما تفقد الحكومة ثقة الشعب، ولا يوجد علاج من داخل السلطة، من هنا يبدأ تفكك السلطات ومعها يبدأ تفكك الروابط الاجتماعية، وهو بمثابة سقوط للمجتمع والحكومة معاً، وهذا الوضع مرده عند كونفوشيوس إلى الذين يسيئون استعمال السلطة التي عهد إليهم بها في الدولة. (شنغ ص88، 89)

نظرية كونفوشيوس هنا أنه يسند القوة السلطة، ويسند السلطة

الشرعية، من يفقد الشرعية يفقد الحكم لأنه فقد ثقة الشعب، ينتهي كونفوشيوس إلى القول بأن الحاكمية بذاتها أمر من أمور العمل ذي المناسك. فبحب الحاكم للعمل ذي المناسك وطاعته له، يصبح الناس أسهل انقياداً من أجل أنهم يقرون بسلطانه "ده". فالحكومة ذات الكفاية ليست الحكومة التي تعاقب العصاة بل الحكومة التي لن يعاقب احد لانتفاء وجود العصاة، بفضل ما للفضيلة والمناسك من سلطان، فالحاكم القدوة هو من تبلغ مناسك حكمه معنى النظام بدون التباس، ويرجع كونفوشيوس إلى ماضي الأسر الحاكمة بالفضيلة والمناسك والمثال هو الحاكم "شون" الذي لم يفعل شيئاً سوى الالتزام بالفضيلة والحكم القائم على المناسك، الذي يصون النظام الاجتماعي والسياسي، فالحاكم عند كونفوشيوس هو الذي يمثل أنقى صور العمل ذي المناسك متمسكا بالفضيلة أو سبيل "التاو"، سبيل الحاكم الملتزم بالشرط الطبيعي الذي يفضي إلى مجتمع منتظمة أحواله، يلتزم فيه كل مواطن بالمعاملة ذات المعايير الرفيعة وبالتالي فإن هذا النموذج يسهم في حفظ الكون. (براساد ص 94، 95).

يقول كونفوشيوس أن الحاكم الذي تسلم التفويض السمائي من أجل رعاية شؤون الشعب وتحقيق أمنه وسعادته، فإذا خالف الحاكم الطريق المحدد له فإن السماء تلك القوة الإلهيه، سوف تنهض معبرة عن إرادة الشعب لتطيح بالحكم القائم وتحل محله آخر تلتمس فيه الإخلاص في العمل. إن بقاء الحاكم متوقف على رغبة الله وإرادته، فإرادة الله هي إرادة الشعب. (Creel, Chinese Thought, p23)

بالخلاصة نستنتج أن فكرة الحكم عن طريق الفضيلة هو ما كان كونفوشيوس يأمل في تحقيقه، في حين أن الاعتقاد الشائع لدى الناس هو أن القوة لا الفضيلة هي أساس الحكومة والحاجة إلى قوانين لمعاقبة المخالفين وهذه تتطلب قوة حكومية، لكن كونفوشيوس يرى بأنه إذا كان الناس خيرين فهذا سيجعل فرض القوانين أسهل وبتهذيب الفضائل الأساسية يمكن بلوغ طبيعة الإنسان الخيرة ويمسي في تناغم مع الآخرين ويستقر المجتمع ويسود السلام العالم، قناعة كونفوشيوس أنه لا استقرار للمجتمع من دون وجود قادة يمكن الوثوق بهم أمناء على التراث (Lyons, p.43)

أكد كونفوشيوس على تطوير الحكمة في الداخل والنبل في الخارج، أي قهر التمحور حول الذات الذي يجعل الأفراد والجماعات في تضارب، وإقرار معاملة الكل على قدم المساواة، وفقاً للمبدأ الكونفوشيوسي: "عامل كل الآباء كما تعامل أباك، عامل كل الأبناء كما تعامل أبنك" هذا المبدأ إذا وضع موضع التطبيق فإن من شأنه أن يمحو وجود طبقات حاكمة وأخرى مستعبده، هذه الفلسفة التي تضرب جذورها في الإنسانية "الجين"، هي المفتاح للتطور والتقدم الاجتماعي والتحول الاقتصادي والسياسي الفعال. (جون كولر، ص436)

الخاتمة:

لقد خرج الباحث بجملة استنتاجات وهي أن السياسة عند كونفوشيوس مبنية على الأخلاق، والأخلاق لا تتحقق إلا عبر التربية ولا يمكن الفصل بين هذه المجالات الثلاثة.

الحكومة الصالحة تعتبر أمراً ضرورياً عند كونفوشيوس مستنداً إلى ضرورة الاجتماع الإنساني الذي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كانت هناك سلطة عليا تنظم العلاقات بين مكونات المجتمع، وضرورة النظام تأتي من ذات الإنسان، ولا تتحقق إلا في المجتمع الإنساني وهذا المجتمع يقوم على فضيلة الطاعة، التي تسري في كافة العلاقات الإنسانية بدءاً من علاقة الابن بوالديه وانتهاءً بعلاقة المواطن برأس الدولة. ويرى كونفوشيوس أن انتظام الأسرة يؤدي إلى انتظام الدولة. ولكن الطاعة مبينه على الاستحقاق، أي أن السلطة المستحقة مقام يجب اكتسابه.

الدولة عند كونفوشيوس وجدت من أجل الشعب، هذه الدولة ليست منفصلة عن المجتمع، وقائمة على قواعد الفضيلة والأعراف، وأن غاية المجتمع السياسي هو تحقيق السعادة والأمن حتى يسود السلام المجتمع، ولا تتحقق السعادة والأمن إلا بالحكومة العادلة، وتستمد الحكومة شرعيتها عند كونفوشيوس من كونها تحقق الاستقرار الاجتماعي وتنظم العلاقات الاجتماعية وكذلك تحقق ثلاثة أمور هي الاستقرار الاقتصادي، الأمن القومي والثقة بالسلطة.

الحاكم المثالي: لقد عزا كونفوشيوس إلى الحاكم أعلى درجات المسؤولية الأخلاقية داخل الدولة فإذا تمكن من تحقيق أعلى مستويات السمو الأخلاقي في حياته فإنه يضمن استمراريته في السلطة وقيادة الشعب وتنتشر فضيلته في كل أرجاء الدولة، عندما يملك الحاكم الفضيلة فأنه يكسب قلوب وعقول الشعب ويعزز سلطته في الدولة، ويصل الحاكم إلى

الطريق الصحيح طريق "التاو" بالإخلاص ولكنه يفشل بالغرور والتطرف.

الوزير ودوره في السلطة السياسية: أكد كونفوشيوس على أهمية دور الوزير في نظام الحكم حيث رأى أن أهمية الوزير الصالح قبل الحاكم الصالح مؤكداً على فاعلية الوزير الذي يضطلع بأعلى درجات المسؤولية، وقال بأنه قد يكون الحاكم فاسداً ويستمر الحكم إذا كان الوزراء صالحون فأنهم سيحققون الخير للدولة أما إذا كان الوزراء عكس ذلك فأنهم خطر على الدولة، فمن خلال تأكيد كونفوشيوس على دور الوزراء، أرى بأنه يدعوا إلى نظرية أن الحاكم يملك ولا يحكم.

الشعب مصدر السلطة: أكد كونفوشيوس على أن إرادة الله هي إرادة الشعب، وأن صوت الشعب هو صوت السماء. وإذا ما خالف الحاكم الطريق المحدد له من السماء طريق "التاو" فإن السماء تلك القوة الإلهية سوف تنهض معبرة عن إرادة الشعب لتطيح بالحاكم لتتيح الفرصة لحاكم صالح يقود الشعب.

إدراكاً من كونفوشيوس لأهمية التغيير الثقافي لإنجاز التغيير الاجتماعي والسياسي المرغوب فيه، دعا إلى إتاحة الفرصة لتعليم أبناء الشعب عامة واختيار الموظفين الأكفاء منهم، ثم يختار الوزراء من صفوة هؤلاء الموظفين، هنا تأكيد على أن الشعب لدى كونفوشيوس هو مصدر السلطة ويقرر بأنه كل إنسان من الشعب لديه الفرصة إذا كان مؤهلاً للمشاركة في قيادة الدولة وإدارتها.

السعادة عند كونفوشيوس هدف الإنسان، وأمن بأن الحكومة الصالحة هي التي تسعى نحو سعادة الشعب باعتباره المصدر الفعلي والحقيقي لأي سلطة سياسة وقال يعد الشعب أهم عامل من عوامل قيام الدولة ووجودها. وقال "أعل من شأن ذوي الاستقامة وأرفعهم فوق الخداع، عندئذ فإن العامة سوف تتجه إليك، أعل من شأن الخداع وأرفعهم فوق ذوي الاستقامة، عندئذ فإن العامة لن تأتي إليك. هذا يجعل من الشعب الحكم فيما إذا كانت الحكومة صالحة أو فاسدة. وعليه فإن لسلطة الشعب عند كونفوشيوس القول الفصل في استمرارية نظام الحكم أو زواله.

لقد وضع كونفوشيوس أسس النهضة للأمة وعدد عوائق التغيير وآمن بالإنسان وأعلى من شأن القدوة الصالحة التي تبقى مثالاً يضرب في أعماق توق النفس البشرية نحو الأفضل، لتبقى القيادة في المواقع العليا بيد الصادقين والقادرين، في مشروعه النهضوي، أمن بالتراكم التاريخي والعبرة التاريخية الكامنة وراء ذلك وأعلى من شأن التقاليد والتمسك بها وقال إنه محب للقدماء.

وبالتالي فإن كونفوشيوس استطاع أن ينهض بالمجتمع وتحول المجتمع الصيني بسبب الفكر الكونفوشيوسي من حالة "الين" حالة السكون والسلبية إلى حالة "اليانغ" حالة النشاط والحيوية والنهضة.

ثبت التعريفات:

المحاورات Analects: المختارات وهي مجموعة من المحاورات والأحاديث لحكيم الصين كونفوشيوس.

تاو Tao: السبيل أو الطريق أو النهج ويقصد به أسلوب الحياة أو الطريق الصحيح، طريق السماء أو المجرى الطبيعي للأشياء.

تيان Tian: السماء.

الجين أو الرين Jen: التعاطف البشري – الاهتمام الذي يوليه البشر بعضهم لبعض بحكم كونهم يعيشون معاً.

تي Te: الفضيلة أو الحكم بواسطة الفضيلة – النية الحسنة والسلوك السليم تجاه الاخرين وهي في التاوية قوة التاو الغامضة التي لا يمكن تعريفها.

جونتسي Juntsu: القدوة أو الرجل الماجد أو الحاكم الصالح.

لي Li: المبدأ أو القواعد اللياقة وآداب المجتمع التي تحكم العادات والمراسم والعلاقات.

شياو Xiao: ولاء الأبناء أو الطاعة البنوية، أو الانسجام العائلي، أو علاقة الأمير بالرعية، أو الامتثال للرؤساء والاباء.

يي yi: الحق أو الفعل الصائب أخلاقياً

جانغ sheng: حياة الضمير.

شو shu: الأيثار.

تشي zhi: المعرفة.

جنع منغ jingming: تصويب الأسماء أو الاستعمال الصائب للأسماء أي مطابقة الكلمة مع الواقع.

شي shu: الصواب أو الوداعة (الحكم على مشاعر الآخرين من خلال مشاعرنا نحن).

في fi: خطأ

رن ren: مهذب

هو hua: القوة المحولة أو الناعمة، دون ارغام او استخدام للقوة.

دة di: قبول السلطة.
شانغ دي Shaugdi: آله كلي القدرة تخضع الطبيعة لمشيئته.
اليانغ Yang: مبدأ دينامي (موجب).
الين Yin: مبدأ سكوني (سالب).

المبدأين الكونيين الذين بتعاقبهما وتفاعلهما ينظمان انبثاق الكون وتطوره ويمثلان كل ثنائية في الكون وهما متكاملان وليس متضادان.

تيان منغ Tianming: تفويض السماء للحاكم أو الحكيم.
شنغ رن Zherg ren: الرجل الحقيقي أو الفاضل أو الأصالة.

الغونغ يانغ Gonguang: السلام الكبير لتحقيق الحرية والمساواة دون تميز بين الأمم.

المصادر والمراجع

المراجع العربية

ابن أن شنغ، تاريخ الفكر الصيني، ترجمه محمد حمود، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2011

تشاكر افارتي براساد، الفلسفة الشرقية، ترجمة وفيق كريشات دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2010.

جوفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993.

جو ن.م. كولر، الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1995.

جو ن م.كولر، الفلسفات الاسيوية، ترجمه نصير فليح، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012.

صفاء عبد السلام جعفر، السؤال عن الأصل، المعارف، الإسكندرية، 2006م.

كارل ياسبرز، فلاسفة إنسانيون، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، 1980.

كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث، الجزء الأول، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012م.

نيقولا ميكافللي، الأمير، ترجمة د. احمد لطفي، الطبعة الثانية، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، 2015م.

عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.

علي رمضان فاضل، موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة، مكتبة النافذة، القاهرة، 2011م.

عمر عبد الحي، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1999م.

مصطفى حسن النشار، مدخل إلى الفلسفة السياسية والاجتماعية، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2012م.

هالة أبو الفتوح، فلسفة الأخلاق والسياسية، المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م.

هوستن سميث، أديان العالم، تعريب سعد هاشم، دار الجسور الثقافية، حلب، 2005م.

ول ديورانت، قصة الحضارة، الشرق الأقصى الصين، الجزء الرابع، ترجمة محمد بدران، جامعة الدول العربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1957م.

المراجع الأجنبية

Arthur Waley, The Way and Its power, Allen ad unwin, London, 1958.

S. I. Benn and R.S Peters, The Principles of Political Thoyght, The Free Press, New York, 1965.

Berlin, Jsaiah, the Originality of Machiavelli, Myron. P. Gilmore, Florence, 1972.

Chu Chai and Winbery Chai, Confucianism, Barron's Edu cational series, New York, 1973.

Chlang Molin, Tides from the west, yale university press, 1947.

Confucius, the analects, translated by Arthur waley, everyman's libaray, London, 2000.

Honan. G. Creel, Chinese Thought, New American Library, New York, 1963.

Honan.G. Creel, Confucius and Chinese way, harper Brothers, New York, 1949.

Hexter, J.H. The Biography of an Idea, Princeton, 1952.

Donald J. Munro, the concept of man In early china, Stanford university press 1969.

D. Willard lyons, the philosophers of china, citadel press, New York, 1962.

John Koller and patricia Koller, A sourcebook in Asian Philosophy, Macmillan, New York, 1991.

Lane W. Lancaster, Master of Political Though, Houghton Mifflin compamy, Boston, 1959.

Li. Chi, In the wisdom of Confucius, Translated by lin Yutang, modern library, New York, 1938.

William Mcnaughton, The Confucian Vision, Uni. Of Michigon press, 1974.

Williams A. Pott, Chinese Political philosophy, Alfred A., New York, 1927.

Political Thought of Confucius

Zaid Zuriqat *

ABSTRACT

This study deals with the political thought of Confucius, and aims to highlight the importance and the characteristics of his political thought. The study showed that Confucius believed that the crisises of the nation or the society was due to the ruling authority. In order to establish a just and stable government system is possible by adhering to the rituals, customs, traditions, and ethics and virtues. The true knowledge based on honesty, precision, and clarity is the basis for political system reforms. Accordingly, the politics of Confucius depends on morality and ethics.

Keywords: Political thought, Confucius, Political ethics.

* Department of Philosophy, The University of Jordan.
Received on 10/6/2018 and Accepted for Publication on 7/11/2018.